قصيدة مترجمة

لحوم البحر . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لكأنما والله قد تمدَّد على سيف البحر في اسكندرية شيطانٌ ماردٌ من شياطين مابين الرجل والمرأة . يخدع الناسَ عن جهنَّم بتبريد معانيها . . وقد امتلأ به الزمانُ والمكان ؛ فهو يُرْعِش ذلك الربيلَ بذلك الهواء رَعْشَةَ أعصاب حية ؛ ويُرسل في الجو نفخاتٍ من جُرْعَة الخمر في شاربها ثارَ فعربد ، ويُطلِع الشمس للأعين في منظر حَسْناءَ عُريانةٍ ألقت ثيابها وحياءها معاً ؛ ويُرْخي الليل ليغطي به المخازي التي خجل النهار أن تكون فيه .

ولَعَمري إن لم يكن هو هذا الماردَ فما أحسَبُه إلا الشيطان الخبيث الذي ابتدع فكرة عرض الآثام مكشوفةً في أجسامها تحت عين التُّقيّ والفاجر لتعمل عملها في الطباع والأخلاق ؛ فسَوَّلَ للنساء والرجال أن ذلك الشاطىء علاجُ الملل من الحر والتعب ، حتى إذا اجتمعوا فتقاربوا ، فتشابكوا ، سَوَّلَ لهم الأخرى أن الشاطىء هو كذلك علاج الملل من الفضيلة والدين .

ولئن لم يكن اللعينان فهو الرجيمُ الثالث ، ذلك الذي تألَّى أن يفسد الآدابَ الانسانية كلَّها لفساد خُلُقٍ واحد ، هو حياءُ المرأة ؛ فبدأ يكشفها للرجال من وجهها ولكنه استمر يكشف . وكانت تظنه نَزَعَ حجابها فاذا هو أولُ عُرْيها . . وزادت المرأة ، ولكن بما زاد فجورَ الرجال ، ونقصت ولكن بما نقص فضائلهم ، وتغيرت الدنيا وفسدت الطباع . فاذا تلك المرأة ممن يقرونها على تبذلها بين رجلين لا ثالثَ لهما : رجل فَجَرَ ، ورجل تخنَّث . .

* * *

هناك فكرة من شريعة الطبيعة هي عقل البحر في هؤلاء الناس ، وعقل هؤلاء الناس في البحر ؛ إذا أنت اعترضتَها فتبيَّنتها فتعقَّبتها ، رأيتَها بلاغة من بلاغة الشيطان في تزيينه وتطويعه ، وأصبتَ فكرهُ مستقراً فيها استقرار المعنى في عبارته ، آخذاً بمداخلها ومخارجها . وما كان الشيطان عَيِيّاً ولا غبياً ، بل هو أذكى شعراء الكون في خياله ، وأبلغهم في فطنته ، وأدقهم في منطقه ، وأقدرهم على الفتنة والسحر . وبتمامه في هذا كله كان شيطاناً لم تسعه الجنة إذ ليس فيها النار ، ولم تُرْضِه الرحمة إذ ليس معها الغضب ، ولم يعجبه الخضوع الملائكي إذ ليس فيه الكبرياء ، ولم يَخْلُص الى الحقيقة إذ لا تحمل الحقيقة شِعر أحلامه .

وما أتى الشيطان أحداً ، ولا وسوس في قلب ، ولا سوَّل لنفس ، ولا أغوى من يُغويه إلا بأسلوب شعري مُلْتَبِس دقيق ، يجعل المرءَ يعتقد أن اطِّراح العقل ساعةً هو عقل الساعة ، ويُفسد برهانهُ مهما كان قوياً إذ يرتد به من النفس الى أخْيِلةٍ لا تقبل البراهين ، ويَقطع حجته مهما كانت دامغة ، إذ يعترضها بنزعة من النزعات توجهها كيف داربها الدم لا كيف داربها المنطق .

فكرة من شريعة الطبيعة ظاهرها لِبَعْض الأمر من الشمس والهواء والبحر وما لا أدري ، وباطنها لبعض الأمر من فن الشيطان وبلاغته وشعره وما لا أدري . وما كانت الشرائع الالهية والوضعية إلا لاقرار العقل في شريعة الطبيعة كي تكون إنسانية لأنسانها كما هي الحيوانية لحيوانها ، وليجد الانسان

أحمد أمين

ورأيته ورأيته ؛ ورأيتني ورأيتني

* * *

أخشى أن نكون في كلا الحالين مُفرطين ومفرطين ، وأن نكون في « كُتابنا » قد غلونا وفي « رياض أطفالنا » قد غلونا

أخشى أن يكون الكتاب قسا وأسرف في القسوة ، ورياض الأطفال ماعت وأسرفت في اليوعة ، أخشى أن نكون في كتابنا قد وضعنا أمام الطفل كل العقبات فلم يستطع أن يجتازها إلا القليل ، ونحينا في « رياض الأطفال » كل العقبات فاجتازوها جميعاً ، ولكنهم خرجوا لا يعرفون كيف يجتازون عقبة عرضت ، ولا يصبرون على شدة ألمت ، ولا يتحملون مشقات العلم ومعاناة الدرس ، ولا يعالجون مايعن من مصاعب الحياة — وآية ذلك أن الجيل السابق — مع كثرة من تخلف — كانوا أصبر على الدرس وأحمل للمكاره والشاق ، وأن الجيل الحاضر أنعم وأظرف وأليق ، ولكنهم لا يصبرون على مكروه حتى العلم .

أحمد أمين

ما يحفظ به نفسه من نفسه التي هي دائماً فوضى ، ولا غاية لها لولا ذلك العقل إلا أن تكون دائماً فوضى . .

وبالشرائع والآداب استطاع الانسان أن يضع لكلمة الطبيعة النافذة عليه ، وأن يرى في هذه الطبيعة أثر جوابه ؛ فكلمتها هي : أيها الانسان أنت خاضع لي بالحيوانيّ فيك ؛ وكلته هو : أيتها الطبيعة وأنت لي خاضعة بالالهيّ فيّ .

والآن سأقرأ لك القصيدة الفنية التي نظمها الشيطان على رمل الشاطىء في اسكندرية ؛ وقد نقلتها أترجمها فصلاً بعد فصل عن تلك الأجسام عارية وكاسية ، وعن معانيها مكشوفة ومغطاة ، وعن طباعها بريئة ومتهمة ، حتى اتّسقت الترجمة على ما ترى

قال الشيطان :

ألا إن البهيمية والعقلية في هذا الانسان ؛ مجموعهما شيطانية ...

ألا وإنه ما من شيء جميل أو عظيم إلا وفيه معنى السخرية به .

هنا تتعرى المرأة من ثوبها ، فتتعرى من فضيلتها .

هنا يخلع الرجل ثوبه ، ثم يعود إليه فيلبس فيه الأدب الذي خلعه .

رؤية الرجل لحم المرأة المحرمة نظر بالعين والعاطفة .

يرى ببصره الجائع كما ينظر الصقر إلى لحم الصيد .

ونظر المرأة لحم الرجل رؤية فكر فقط . . .

تحول بصرها أو تخفضه ، وهي من قلبها تنظر .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

يالحوم البحر ! سلخك جزار من ثيابك .

جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة . .

ولا يحزّ بالسكين ولكن بالعاطفة .

ولا يُميت الحيّ إلا موتاً أدبياً . .

إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء .

فهنا تلتحم نواميسُ الطبيعة ونواميسُ الأخلاق .

للطبيعة أسلحةُ العُري ، والمخالطة ، والنظر ، والانس ، والتضاحك ، ونُزُوع المعنى إلى المعنى . .

وللأخلاق المهزومةِ سلاحٌ من الدين قد صَدِىء ، وسلاحٌ من الحياء مكسور .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

الشاطىء كبير كبير ، يسع الآلاف والآلاف .

ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير ، حتى لا يكون إلا خلوة ...

وتقضي الفتاةُ سنتها تتعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جهلها وتعرف ماهو . .

وتمضي المرأة عامها كريعة ، ثم تجيء لتجدّ هنا مادة اللؤم الطبيعي . . .

لو كانت حَجَّاجةً صوّامةً ، للعنتها الكعبة لوجودها في « استانلي » .

الفتاة ترى في الرجال العُريانين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط .

والمرأة تسارقهم النظر تنويماً لرجلها الواحد ، وهذا محى من المواخير . . .

أين تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين ؟ —

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

هناك التربية ، وهنا إعلان الاغفال والطيش .

وهناك الدين ، وهنا أسباب الأغراء والزلل .

وتكلُّفُ الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها .

والعزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخُّص يوماً بعد يوم .

والبحر يعلّم اللاتي والذين يسبحون فيه كيف يغرقون في البر . .

لو ترى هؤلاء وهؤلاء معرّةَ اغتسالهم معاً في البحر ، لاغتسلوا من البحر .

فقطرة الماء التي نجّستها الشهوات قد انسكبت في دمائهم .

وذرة الرمل النجسة في الشاطىء يستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم . .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

يجيئون للشمس التي تقوى بها صفات الجسم ،

ليجد كل من الجنسين شمسه التي تضعف بها صفات القلب .

يجيئون للهواء الذي تتجدد به عناصر الدم ؛

ليجدوا الهواء الآخر الذي تفسد به معاني الدم .

يجيئون للبحر الذي يأخذون منه القوة والعافية ،

ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكةٌ تطارد سمكة . .

ويقولون ليس على المصيف حرج .

أي لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

المدارس ، والمساجد ، والبِيَعُ ، والكنائس ، ووزارة الداخلية ، هذه كلها لن تهزم الشاطىء .

فأمواج النفس البشرية كأمواج البحر الصاخب ، تنهزم أبداً لترجع أبداً ؛ لا يهزم الشاطىء إلا ذلك «الجامع الأزهر» ، لو لم يكن قد مُسخ مدرسة . فصرخةٌ واحدةٌ من قلب الأزهر القديم ، تجعل هدير البحر كأنه تسبيح ، وتردُّ الأمواج نقيةً بيضاء[1] ، كأنها عمائم العلماء .

وتأتي الى البحر بأعمدة الأزهر للفصل بين الرجال والنساء ، ولكني أرى زمناً قد نقل حتى الى المدارس روح «الكازينو» . .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . . . !

* * *

هنا على رغم الآداب ، مملكةٌ للصيف والقيظ ، سلطانها الجسم المؤنث العاري .

أجسامٌ تعرض مفاتنها عرض البضائع ؛ فالشاطىء حانوت للزواج . !

وأجسامٌ تعرض أوضاعها كأنها في غرفة نومها لا في الشاطىء . . .

وأجسامٌ جالسةٌ لغيرها تحيط بها معانيها ملتمسةً معانيه ، فالشاطىء سوقٌ للرقيق . .

وأجسامٌ حَفِرةٌ جالسةٌ للشمس والهواء ، فالشاطىء كدار الكفر لمن أكره[2] .

وأجسامٌ عليلة تفتحمها الأعين فتزدريها ، لأنها جعلت الشاطىء مستشفى . . . !

وأجسام خليعة أضافت من استانبل وأخواتها الى منارة اسكندرية ، ومكتبة اسكندرية ، مزبلة اسكندرية . . .

كان جدال المسلمين في السفور فأصبح الآن في العُرْي .

فاذا تطوّر ، فماذا بقي من تقليد أوربا إلا الجدال في شرعية جمع المرأة بين الزوج وشبه الزوج[1] . ؟

انتهى ما استطعتُ ترجمته ، بعد الرجوع في مواضع من القصيدة الى بعض القواميس الحية . . ، الى بعض شبان الشاطئ ؟

طنطا مصطفى صادق الرافعي

(١) يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ ، وأن الصواب أن يقال « بيض » ولسنا من هذا الرأي ، وقد غلط فيه البرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر في بلاغة الاستعمال مرة في الوصف بالمفرد ومرة في الوصف بالجمع

(٢) إشارة الى الآية الكريمة : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »

(١) يسمى هذا في اللغة الضد بفتح الضاد والميم ، وهو أن يخال الرجل المرأة ولها زوج ومنه قول الشاعر :

تريدين كيما تضمديني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

ومن هذا يقال في الرجل : ذاق الضماد (بكسر الضاد) أي ذاق الطعم الذي وصفه أناتول فرانس . . .

حول ذكرى الشاعرين

شوقي وحافظ

كتب كثير من الأساتذة الغير ، يأسفون على إهمال حافظ ، ويتألمون على أن كتاباً لم يصدر عنه . ولم يذكر واحد منهم ، أن المكتبة العربية في دمشق ، قد اخرجت كتاباً في ذكرى الشاعرين في (٧٥٠) صفحة كبيرة . فيه (١٢) مقالة عن حافظ لطائفة من أكبر كتاب مصر والشام كالرافعي والمازني وطه حسين وهيكل والبشري والغربي و (١٦) قصيدة في حافظ لطائفة من كبار الشعراء كشوقي (رحمه الله) والزهاوي ومطران والعقاد ومحرم والبزم والهراوي وجبري ، وأكثر من الف بيت من شعر حافظ الذي لم ينشر في ديوانه ، ومثل هذا عن شوقي ، وخمس مقالات في المقارنة بينهما للزيات وطه حسين والمازني ومطران وسعيد الأفغاني .

أفليس من الحق ان ينوّه بهذا العمل ، وان يشكر للمشق ؟

« دمشقي » « حلبي »